(١٠٦) سورة قريش

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها أربع نزلت بعد سورة التين، تتحدث عن نعم الله الجليلة على أهل مكة حيث كان لهم رحلتان رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام وهما للتجارة وقد أكرم الله قريشًا بنعمتين هما: نعمة الأمن والاستقرار ونعمة الغنى واليسر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾

معانى المفردات:

لإيلاف قريش: لجعلهم آلفين الرحلتين.

التفسير:

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ هذه اللاّم متعلقة بالفعل الذى بعدها "فليعبدوا" ومعنى "الإيلاف" الإلف والاعتياد يقال ألف الرجل الأمر إلفا وإلافا والمعنى من أجل تسهيل الله عز وجل على قريش وتيسيره لهم ما كانوا يألفونه من الرحلة فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام كما قال تعالى ﴿ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾ أى فى رحلتى الشتاء والصيف حيث كانوا يسافرون للتجارة ويأتون بالأطعمة والثياب، ويربحون فى الذهاب والإياب، وهم آمنون مطمئنون لا يتعرض لهم أحد بسوء، لأن الناس كانوا يقولون هؤلاء جيران بيت الله ومساكن حرمه وهم أهل الله لأنهم ولاة الكعبة ولما أهلك الله أصحاب الفيل ورد كيدهم فى نحورهم ازداد وقع أهل مكة فى القلوب

وازداد تعظيم الأمراء والملوك لهم، فازدادت تلك المنافع والمتاجر، فلذلك جاء الامتنان على قريش ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴾ أى فليعبدوا الله العظيم الجليل، رب هذا البيت العتيق، وليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة الجليلة التى خصهم بها، قال المفسرون: وإنما دخلت الفاء "فليعبدوا" لما فى الكلام من معنى الشرط كأنه قال: إن لم يعبدوه لسائر نعمته فليعبدوه من أجل إيلافهم الرحلتين ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ أى أن هذا الإله العظيم هو سبحانه الذى أطعمهم بعد شدة الجوع وآمنهم بعد شدة خوف يقول الله عز وجل "أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم"[1] وذلك ببركة دعاء أبيهم الخليل إبراهيم عليه السلام حيث قال "رب أجعل هذا بلدا آمنا"[2] وقوله سبحانه "وارزقهم من الثمرات"[3] أفلا يجب على قريش أن يفردوا بالعبادة هذا الإله الجليل الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف[4]

الإعراب:

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ	لإيلاف اللاّم متعلقة بقوله فيما بعد "فليعبدوا" كأنه قال فإن لم يعبدوا الله لسائر النعم السابقة عليهم المترادفة فليعبدوه لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف وهى نعمة سابقة أتاحت لهم الاتجار وضمنت لهم ميسور الرزق وإيلاف مصدر آلف بوزن أكرم يقال آلفته أولفه إيلافا وقال الخليل والبصريون اللاّم لام الإضافة متصلة بفليعبدوا والتقدير: فليعبدوا رب هذا البيت لأن منّ عليهم بإيلاف قريش وصرف عنهم شر أصحاب الفيل وقال السمرى والفراء: يجوز أن تكون اللاّم لام التعجب :انه قال أعجبنا يا محمد لإيلاف قريش قريش مضاف إليه مجرور[5].

(١) الآية (٦٧) سورة العنكبوت.
(٢) الآية (١٢٦) سورة البقرة.
(٣) الآية (٣٧) سورة إبراهيم.
(٤) صفوة التفاسير للأستاذ محمد علي الصابونى ص ١٧٧٢.
(٥) إعراب القرآن الكريم لمحى الدين الدرويش ص ٥٩٠ المجلد العاشر.

إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ	إيلافهم بدل من لايلاف بدل مقيد من مطلق أطلق الإيلاف فى الأول وقيده فى الثانى برحلتى الشتاء والصيف تفخيما لأمر الإيلاف وتعظيما له، رحلة مفعول به للمصدر، الشتاء مضاف إليه مجرور والصيف معطوف على الشتاء.
فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ	الفاء هى الفصيحة لأنها وقعت فى جواب شرط مقدر اللاّم لام الأمر، ليعبدوا مضارع مجزوم باللاّم والواو فاعل، رب مفعول به منصوب هذا اسم إشارة مبنى فى محل جر بالإضافة البيت بدل مجرور.
ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ	الذى اسم موصول نعت لرب أو بدل منه وجملة أطعمهم صلة لا محل لها ومن جوع متعلق بأطعمهم ومن تعليلية أى أنعم عليهم وأطعمهم لإزالة الجوع عنهم فلابد من تقدير مضاف أى من أجله وكذلك آمنهم من خوف.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الطباق بين "الشتاء والصيف" وبين "الجوع والإطعام" وبين "الأمن والخوف".
- الإضافة للتكريم والتشريف ﴿ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾.
- تقديم ما حقه التأخير ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ والأصل ليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف "فقدم الإيلاف تذكيرا بالنعمة.
- التنكير فى لفظة "الجوع" ولفظة "خوف" لبيان شدتهما أى جوع شديد وخوف عظيم.

❖ ❖ ❖